منهج النبي ﷺ في التعامل مع القرآن الكريم

الحمد لله الذي أنزل إلينا أشمل كتاب، وأرسل إلينا أفضل رسول، وجعلنا خير أمة أخرجت للناس، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أولاً: عند نزول القرآن:

كيفية تلقي النبي ﷺ للقرآن

قال الله تعالى: { وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (195)}. سورة الشعراء

إنَّ هذا القرآن أنزله الله تعالى على نبيه محمداً ﷺ، وإنَّ المَلَك الذي كلَّفه الله تعالى بأنْ يَنزِل بالقرآن على النبي ﷺ هو الروح الأمين وهو جبريل عليه السلام.

وقد تلا جبريل عليه السلام هذا القرآن على النبي ﷺ حتى وعاه النبيُ بقلبه.

وذلك من أجل أن يُنذر النبيُ ﷺ الناسَ المكذِّبين بهذا القرآن، الذي نزل بلسانهم بكل بَيَان ووضوح.

وجبريل عليه السلام قد أخذ القرآن عن الله تعالى سماعاً، تكلم الله تعالى بهذا القرآن وسمعه منه جبريل عليه السلام[1].

أخرج أبو داوود في سننه عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: ((إذا تكلَّم اللهُ بالوحي سمعَ أهلُ السماء الدنيا صلصلةً كجرِّ السلسلة على الصفا، فيُصعقون، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل، حتى إذا جاءهم جبريلُ فُزِّع عن قلوبهم، فيقولون: يا جبريل، ماذا قال ربك؟ فيقول: الحق. فيقولون: الحق الحق[2].

حرص النبي ﷺ على حفظ القرآن أثناء نزوله

كان النبي ﷺ أثناء نزول الوحي يُحرِّك شفتيه يُعيدُ ويُكرِّرُ ما يسمع قبل اكتمال الوحي حرصاً منه على الحفظ وأمانة منه ﷺ في تلقي الوحي، فنُهي عن ذلك، ولكن بعد انقضاء الوحي بالآيات، فعندئذ يكررها ويقرؤها آناء الليل وأطراف النهار وفي الصلوات[3].

ورد عن سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ} [القيامة: 16] قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ} [القيامة: 17] قَالَ: جَمْعُهُ لَكَ فِي صَدْرِكَ وَتَقْرَأَهُ: {فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ} [القيامة: 18] قَالَ: فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ: {ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ} [القيامة: 19] ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ اسْتَمَعَ فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا قَرَأَهُ[4].

---

(1) انظر: تفسير الطبري جامع البيان (17/ 641)، الموسوعة القرآنية المتخصصة (1/ 11).

(2) قال الشيخ الألباني: صحيح. انظر حديث رقم: 436 في صحيح الجامع الصغير. والجامع الصغير وزيادته (ص: 44). وفي مسند الشاميين للطبراني (336/1) عن النواس بن سمعان: ((إذا تكلَّم اللهُ بالوحى أخذت السماءُ رجفةً شديدةً من خوف الله...الحديث)).

(3) انظر: تفسير الطبري (23/ 498).

(4) صحيح البخاري (1/ 8).

الأمر بكتابة الآيات فور نزولها

كان للنبي ﷺ كَتَبةً من الصحابة يُملي عليهم القرآن عند نزوله فيكتبونه بين يديه مباشرةً، ومن أشهرهم: زيد بن ثابت، وأُبي بن كعب، وعثمان بن عفان، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم.

عَنِ البَرَاءِ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: {لاَ يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ} [النساء: 95] {وَالمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} [النساء: 95]، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ادْعُ لِي زَيْدًا وَلْيَجِئْ بِاللَّوْحِ وَالدَّوَاةِ وَالكَتِفِ - أَوِ الكَتِفِ وَالدَّوَاةِ -» ثُمَّ قَالَ: " اكْتُبْ {لاَ يَسْتَوِي القَاعِدُونَ} [النساء: 95]" وَخَلْفَ ظَهْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمْرُو بْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ الأَعْمَى، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا تَأْمُرُنِي، فَإِنِّي رَجُلٌ ضَرِيرُ البَصَرِ؟ فَنَزَلَتْ مَكَانَهَا: {لاَ يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ} [النساء: 95] {وَالمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} [النساء:95] {غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ} [النساء: 95][(1)]

المبادرة إلى الامتثال والتطبيق الفوري لأحكام الآيات

من القرآن الكريم ما نزل ابتداءً من غير سبب، ومن الآيات ما كان ينزل عند حدوث واقعة أو مشكلة أو سؤال فتنزل الآيات لتُبيِّنُ حكم الله تعالى في هذه النازلة وكيف يتعامل المؤمنون معها.

وقد كان النبي ﷺ يبادر إلى تعليم الصحابة هذه الآيات التي نزلت ويتلوها عليهم، ليعملوا بها فوراً.

- **ومن ذلك لما نزلت آيات تحريم الخمر، سكب الصحابة الخمر فوراً في طرقات المدينة وامتنعوا عن شربها واقتنائها وبيعها.**

لما نزل قول الله تعالى في سورة المائدة {إنما الخمر والميسر .... إلى قوله: {فهل أنتم منتهون} [المائدة: 91] فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه فوراً: انتهينا انتهينا"[(2)].

وعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "مَا كَانَ لَنَا خَمْرٌ غَيْرُ فَضِيخِكُمْ هَذَا الَّذِي تُسَمُّونَهُ الفَضِيخَ، فَإِنِّي لَقَائِمٌ أَسْقِي أَبَا طَلْحَةَ، وَفُلاَنًا وَفُلاَنًا، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: وَهَلْ بَلَغَكُمُ الخَبَرُ؟ فَقَالُوا: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: حُرِّمَتِ الخَمْرُ، قَالُوا: أَهْرِقْ هَذِهِ القِلاَلَ يَا أَنَسُ، قَالَ: فَمَا سَأَلُوا عَنْهَا وَلاَ رَاجَعُوهَا بَعْدَ خَبَرِ الرَّجُلِ"[(3)].

- **ومن ذلك آيات تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، فقد امتثلوا وهم في الصلاة فاستداروا في صلاتهم للخلف باتجاه الكعبة، ولم ينتظروا للصلاة التي بعدها.**

عَنْ أَنَسٍ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ»، فَنَزَلَتْ: {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} [البقرة: 144] فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ وَهُمْ رُكُوعٌ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَقَدْ صَلَّوْا رَكْعَةً، فَنَادَى: أَلَا إِنَّ الْقِبْلَةَ قَدْ حُوِّلَتْ، فَمَالُوا كَمَا هُمْ نَحْوَ الْقِبْلَةِ[(4)].

---

(1) صحيح البخاري (6/ 184).

(2) سنن أبي داوود (3/ 325)، قال الألباني: صحيح.

(3) صحيح البخاري (6/ 53).

(4) صحيح مسلم (1/ 375).

تعليم النبي الصحابة رضي الله عنهم للقرآن

أولاً: إصلاح النية:

إنَّ أوَّل ما يُبدأ به هو إصلاحُ النيَّة، وذلك بالإخلاص لله عز وجل وابتغاء رضوانه، فلا يقبلُ اللهُ إلا ما كان له خالصاً.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» يَعْنِي رِيحَهَا[1].

وعنه رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((أَوَّلُ النَّاسِ يُقْضَى لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ: رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِيُقَالَ فُلَانٌ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ، فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ، فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، ..."[2]

ثانياً: التدرج في التعليم والعملُ بالعِلم:

كان الصحابة يتعلمون من القرآن بقدر ما ينزل منه على النبي ﷺ، آية أو أكثر، لا يتجاوزون العشر آيات بل يقفون عندها، فإذا أتقنوا تلاوتها وفهموها وعرفوا ما فيها من العمل؛ يبادرون إلى التطبيق العملي، ثم ينتقلون إلى آيات قرآنية جديدة، وهكذا، فهذه الطريقة في التعلم تساعد على الإتقان للتلاوة والحفظ ثم الفهم والتدبر ثم العمل بهذه الآيات، وهذا هو الهدف والغاية من التلاوة.

- قال ابن كثير: واستحبّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه يلقَّن –الصَّبِيُّ- خمس آيات[3].
- وثبت أيضاً عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قوله: كان الرجل منَّا إذا تعلَّم عشر آيات لم يجاوزهنّ، حتى يعرف معانيهنّ والعمل بهنّ[4].
- وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال: حدثنا الذين كانوا يُقرِئوننا: أنهم كانوا يستقرِئون من النبي ﷺ، فكانوا إذا تعلَّموا عَشْر آيات لم يخلِّفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلَّمنا القرآن والعمل جميعًا[5].
- وقال عبد الله بْنَ عُمَرَ: لَقَدْ عِشْنَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرِنَا وَإِنَّ أَحْدَنَا يُؤْتَى الإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ، وَتَنْزِلُ السُّورَةُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَتَعَلَّمُ حَلاَلَهَا وَحَرَامَهَا، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُوقَفَ عِنْدَهُ فِيهَا كَمَا تَعْلَمُونَ أَنْتُمُ الْقُرْآنَ ، ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رِجَالاً يُؤْتَى أَحَدُهُمُ الْقُرْآنَ فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ مَا يَدْرِي مَا أَمْرُهُ وَلاَ زَاجِرُهُ ، وَلاَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُوقَفَ عِنْدَهُ مِنْهُ يَنْثُرُهُ نَثْرَ الدَّقَلِ[6].

ثالثاً: الاهتمام المبكِّر بعلوم القرآن

---

(1) سنن أبي داود (3/ 323).

(2) سنن النسائي (6/ 23).

(3) مقدمة تفسير ابن كثير (75/1).

(4) تفسير الطبري (1/ 74).

(5) تفسير الطبري (1/ 75) وفي رواية في فضائل القرآن للفريابي (صفحة 241): وَأَنَّهُ سَيَرِثُ الْقُرْآنَ بَعْدَنَا قَوْمٌ يَشْرَبُونَهُ شُرْبَ الْمَاءِ لَا يُجَاوِزُ هَذَا، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى حَنَكِهِ.

(6) المستدرك للحاكم (1/ 35) وصححه.

مع الاهتمام بالتلاوة والحفظ والتطبيق لما تضمنته الآيات من هدايات وإرشادات، فهناك نوع آخر من العلوم المتعلقة بالقرآن لم يغفلها الصحابة، بل اهتموا بها وحفظوها ووعوها، مثل: سبب النزول ومكان النزول ووقت النزول.

- قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَاللَّهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ، وَلاَ أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ، تُبَلِّغُهُ الإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ»[1].
- وعَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، أَنَّ رَجُلًا مِنَ اليَهُودِ قَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَءُونَهَا، لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ اليَهُودِ نَزَلَتْ، لاَتَّخَذْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ عِيدًا. قَالَ: أَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ: {اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا} [المائدة: 3] قَالَ عُمَرُ: «قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ، وَالمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ»[2]

رابعاً: عمل النبي ﷺ بالقرآن

سُنَّةُ النبي ﷺ القولية والفعلية هي بيانٌ للقرآن وتفصيلٌ لما أُجمِلَ فيه وشرحٌ له. قال تعالى: {وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون} النحل: 44. وقال: {وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون}.

- وقد قال النبي ﷺ ((صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي[3]))، وفي حديث جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، يَقُولُ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَرْمِي الْجَمْرَةَ وَهُوَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، خُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ عَامِي هَذَا» خُذُوا مَنَاسِككُم: أي تعلموها مني واحفظوها[4].
- وعندما سُئلت عائشة رضي الله عنها عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَتْ للسائل: «أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟: «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ»[5] معناه: العمل بالقرآن والوقوف عند حدوده والتأدب بآدابه والاعتبار بأمثاله وقصصه.

خامساً: التحذير من الخصومة والجدال في القرآن

- عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اقْرَءُوا القُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ»[6]

قال ابن حجر: قوله: (فإذا اختلفتم) أي في فهم معانيه (فقوموا عنه) أي تفرقوا لئلا يتمادى بكم الاختلاف إلى الشر[7].

---

(1) صحيح البخاري (6/ 187).

(2) صحيح البخاري (1/ 18).

(3) صحيح البخاري (1/ 128).

(4)سنن النسائي (5/ 270) قال الألباني: صحيح.

(5) صحيح مسلم (1/ 513).

(6) صحيح البخاري (6/ 198).

(7) فتح الباري شرح صحيح البخاري (439/ 47).

تنوع أساليب تعليم النبي ﷺ القرآن للصحابة

من أساليب النبي ﷺ في تعليم القرآن:

السؤال والتشويق:

من ذلك عند تعليمه للصحابة فضل سورة الفاتحة:

- قوله ﷺ لعبدالله بن جابر رضي الله عنه: ((ألا أخبرك يا عبدَ الله بن جابر بخير سورة في القرآن؟ قلت : بلى يا رسول الله. قال: «اقرأ الحمد لله رب العالمين حتى تختمها»[1].
- وسؤاله لأبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه: ألا أعلمُك أعظمَ سورة في القرآن قبل أن أخرجَ من المسجد؟. فذهب رسول الله ﷺ ليخرجَ مِنَ المَسْجِدِ فَذَكَّرْتُهُ، فَقَالَ: «الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ. هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ»[2]
- وعن أنسٍ ﷺ قال : كان النبيُّ ﷺ في مسيرٍ له فنزل ونزل رجلٌ إلى جانبه فالتفت إليه النبي ﷺ فقال: ألا أخبرك بأفضل القرآن؟ قَالَ : فَتَلاَ عَلَيْهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ[3].
- وقوله لأُبي بن كعب: تُحبُّ أن أعلِّمَكَ سورةً لم ينزل في التوراة ، ولا في الإنجيل ، ولا في الزبور ، ولا في الفرقان مثلَها؟. قال : نعم يا رسول الله. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَيْفَ تَقْرَأُ فِي الصَّلَاةِ»؟ قَالَ: فَقَرَأَ أُمَّ القُرْآنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الفُرْقَانِ مِثْلُهَا، وَإِنَّهَا سَبْعٌ مِنَ المَثَانِي وَالقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُعْطِيتُهُ»[4].

ذكر فضائل معيَّنة لسور مخصوصة:

من ذلك:

- قوله ﷺ: ((إنَّ لكلِّ شيءٍ سناماً وسَنامُ القرآنِ سورةُ البقرة ، فيها آيةٌ سيدةُ آيِ القرآن لا تُقرأ في بيت وفيه شيطانٌ إلا خرج ؛ آية الكرسي)) [5]، وقوله ((اقرءوا سورةَ البقرةَ فإنَّ أخذَها بركةٌ وتركَها حسرةٌ ولا تستطيعُها البطلة)) . قال معاوية : بلغني أنَّ البطلةَ السحرة[6].
- عن أبي هريرةَ ﷺ عن رسولِ الله ﷺ قال : ((إنَّ سورةً في القرآنِ ثلاثونَ آية شفعتْ لصاحبِها حتى غُفر له {تبارك الذي بيده الملك}[7].

---

(1) مسند أحمد مخرجا (29/ 139).

(2) صحيح البخاري (6/ 81).

(3) المستدرك للحاكم (1/ 560) وصححه.

(4) سنن الترمذي (5/ 155).

(5) مصنف عبدالرزاق (3/ 376).

(6) صحيح مسلم (1/ 553).

(7) سنن ابن ماجه (2/ 1244).

الترغيب في الحفظ وبيان فضل تعلمه وتلاوته:

- من ذلك حديث أبي الدرداءِ ﷺ عن النبي ﷺ قال : ((من حَفِظَ عشرَ آياتٍ من أولِ سورةِ الكهفِ عُصِمَ من الدجالِ))[1].
- وكذلك حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((يُقَالُ - يَعْنِي لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ -: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا)). قال الألباني عنه: حسن صحيح[2].
- وحديث ((خيركم من تعلم القرآن وعلمه))[3] ويشمل التعلم: التلاوة والفهم والتأويل وسائر علوم القرآن.

الأمر بتدبر القرآن والتفكر في معانيه:

- عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: لَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي، قَالَ النبي ﷺ لها: «يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي» قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَكَ، وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ، قَالَتْ: فَقَامَ فَتَطَهَّرَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ لِحْيَتَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ الْأَرْضَ، فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟، قَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا، لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ، وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ... }»[4].
- وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ يَعْنِي ابْنَ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَفْقَهُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثٍ»[5]

البيان بالوصف أو الرسم:

ففي قوله تعالى: {أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى} [النجم: 13] وصف لهم النبي ﷺ سدرة المنتهى وقد رآها عندما عُرِج به إلى السماء رأي العين حقيقةً، فقال: ((ثُمَّ رُفِعَت إِلَيَّ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، فَإِذَا نَبْقُهَا مِثْلُ قِلاَلِ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الفِيَلَةِ، قَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى))(6)، نبقها: ثمرها. قِلال هجر: جمع قُلَّة وهي الجرَّة الكبيرة لحفظ الماء بداخلها. وهجر: اسم مكان يستخدم أهله هذه القِلال لحفظ الماء.

وفي قوله تعالى: {ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ} [الحجر: 3] رسم لهم رسماً يبين فيه الأمل والأجل الذي هو الموت، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الوَسَطِ، وَقَالَ: " هَذَا الإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ - أَوْ: قَدْ أَحَاطَ بِهِ - وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهَذِهِ الخُطَطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا "[7].

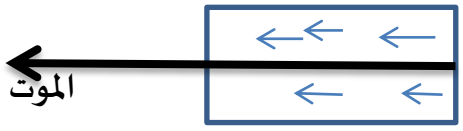

(1) صحيح مسلم (1/ 555).
(2) سنن الترمذي (5/ 177).
(3) صحيح البخاري (6/ 192).
(4) صحيح ابن حبان (2/ 387).
(5) سنن أبي داود (2/ 56).
(6)صحيح البخاري (5/ 54).
(7)صحيح البخاري (8/ 89).

تخريج أحاديث الكشاف (1/ 446)

وعن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه خط خطاً ثم قال: هذه سبيل الرشد، ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا، ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم تلا: {وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه} الآية[1]

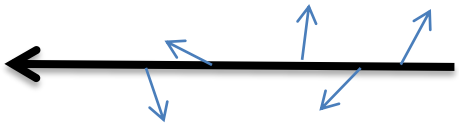

سماعه القرآن من قراءة غيره:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «اقْرَأْ عَلَيَّ القُرْآنَ»، قُلْتُ: آقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ، قَالَ: «إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي»[2]

قراءة النبي ﷺ للقرآن

كان النبي ﷺ يقرأ القرآن في الصلاة الجهرية عندما يؤم الصحابة رضي الله عنهم، ويقرأ القرآن على الصحابة في غير الصلاة، وكان يعرض القرآن على جبريل عليه السلام في كل سنة مرة واحدة في رمضان، وفي السنة التي مات فيها عرض القرآن مرتين، فيكون مجموع العرضات أربعاً وعشرين عرضة.

ومن خصائص وصفات قراءة النبي ﷺ للقرآن مايلي:

1. كانت قراءته مفسِّرة ومبيِّنة لمعنى الآيات:

فقد كانت قراءته ﷺ ترتيلاً بدون استعجال، ويقرأ بتدبر، وكانت قراءته حرفاً حرفاً ببيان ووضوح وكان يمدُّ مداً، وكان يقطِّعُ قراءته آيةً آية فيقف عند نهاية الآيات (عند رؤوس الآيات).

وهذه القراءة تساعد السامع والقارئ على التدبر والفهم والتفكر في الآيات ثم العمل بها.

قالت أم سلمة رضي الله عنها تصف قراءة النبي ﷺ للقرآن: ((كانت مفسَّرة حرفاً حرفاً)) [3] **وقالت: ((كان يقطع قراءته قراءته آية آية))** [4] **يقرأ {الحمد لله رب العالمين} ثم يقف {الرحمن الرحيم} ثم يقف**[5].

2. العناية بالوقف على المعاني:

أوصى النبي ﷺ بالعناية بالوقف على المعاني، مثل الوقف عند ذكر آية الرحمة، والوقف عند آية العذاب، فعن أُبي بن كعب رضي الله عنه أن الرسول قال: ((إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، اقرؤوا ولا حرج، ولكن لا تختموا ذكر رحمة بعذاب، ولا تختموا ذكر عذاب برحمة))[6]**. فنهايات الآيات تفيد في التفكر والتأمل**

---

(1) صحيح ابن حبان (1/ 180).

(2) صحيح البخاري (6/ 195).

(3) سنن الترمذي ت شاكر (5/ 183).

(4) أخرجه أبو داوود في سننه حديث رقم 4001. وصححه الألباني.

(5) سنن الترمذي حديث رقم 3107.

(6) أخرجه أبو داوود في سننه وصححه الألباني، حديث رقم 1310.

3. تكرار القراءة:

إعادة قراءة الآية فيه حثٌ على التفكر والتدبر للفهم والعمل بمقتضى هذه الآية.

فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: ((قام رسول الله بآية حتى أصبح يرددها)) وهي قوله تعالى: {إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم)) [1].

4. ذِكْرُ الله عز وجل أو دعائه بما يتناسب مع معنى الآيات:

يُستحبُّ للقارئ إذا قرأ آية رحمة أن يسأل، أو آية عذاب أن يتعوذ، أو آية تسبيح أن يُسبِّح.

–فعَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ[2].

–وعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: {قُلْ هُوَ القَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ} [الأنعام: 65]، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»، قَالَ: {أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ} ، قَالَ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»[3]

وهذا التعوذ فيه تفسير لخطورة المشهد الذي تنذر منه الآية.

وأما التسبيح فقد ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت:

مَا صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ صَلاَةً بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالفَتْحُ} [النصر: 1] إِلَّا يَقُولُ فِيهَا: «سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»[4]

---

(1) أخرجه ابن ماجه في سننه حديث 1110 وصححه الألباني.

(2) صحيح مسلم (1/ 536).

(3) صحيح البخاري (6/ 56)

(4) صحيح البخاري (6/ 178)

المنهج النبوي في تلقي القرآن والقراءات القرآنية

وكيفية وصولها والكتب الموصلة لها

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين الطلاب الكرام سنتحدث في هذا اللقاء الطيب الماتع إن شاء الله عن "المنهج النبوي في تلقي القرآن والقراءات القرآنية وكيفية وصولها إلينا " وما هو المنهج الصحيح الواضح الذي يسير عليه من أراد القراءة والإقراء وتلقي القراءات القرآنية منذ عهد النبي حتى زماننا هذا.

"منهج تلقي القرآن والقراءات" هذا الموضوع الذي سنتحدث فيه والمنهج الخاص الذي ينبغي أن يسير عليه الطالب في تلقيه للقرآن والقراءات، وقبل الشروع في الموضوع نذكر تعريف علم القراءات.

في اللغة: جمع قراءة

وفي اصطلاح القراء: مذاهب الناقلين لكتاب الله عز وجل في كيفية أداء الكلمات القرآنية[1].

نزلت القراءات مع نزول القرآن الكريم فعلم القراءات تبعٌ للقرآن الكريم وتلقي القراءات تبعٌ لتلقي القرآن الكريم وقراءته وأخذ هذا العلم يختلف عن أخذ سائر العلوم فهوا يقوم على التلقين والمشافهة. فسائر العلوم تؤخذ إما بالقراءة من الكتب أو بالأخذ من مرويات الشيوخ أما هذا العلم فمهما كانت ملكات الإنسان وقدراته لا يمكن أن يستغني بقراءته من الكتب عن تلقي هذا العلم بالمشافهة والنطق والسماع من شيوخ الإقراء.

كيفية تلقي وسماع القرآن هو أن النبي تلقّى القرآن وسمعه بكيفية معينة ثم نقلها إلى الأمة وهي هذه الكيفية التي يُتلَقى بها علم القراءة والقراءات فهي أن يتلقى المتلقي والراغب في تعلم القرآن والقراءات هذا العلم عن الشيوخ المتقنين المقرئين الضابطين وهكذا جيلاً بعد جيل بالأسانيد المعتبرة المعروفة الثابتة الصحيحة المتواترة. فالنبي أول ما تلقى القرآن الكريم تلقاه بهذه الطريقة فيأتي السؤال كيف تلقى النبي هذه القراءات؟ وهل هذه القراءات التي نقرأ بها اليوم السبع والعشر هل هي متلقاه من النبي؟.

لا شك أن القرآن الكريم هو كلام الله نزل به الروح الأمين على قلب نبينا محمد وهذا اللقاء المبارك اللقاء العظيم الذي جمع بين نبينا عليه الصلاة والسلام وبين جبريل أعطى دلالة واضحة وعظيمة إلى أن هذا القرآن مبدأه ومنهجه في التلقي وطريقته في الأداء هو التلقي والمشافهة ولذلك كان نبينا حريصاً كل الحرص على أن يسمع القراءة من جبريل عليه السلام ويحفظها ويتقنها وكان يُعجِل بها لسانه.

فأتاه الطمأنينة طمأنه الله بأنه سيجمعه الله له في قلبه فلا ينسى قال تعالي ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17)﴾ (جَمْعَهُ) أي جمعه في صدرك (وَقُرْآنَهُ) أي قراءتك له. وقيل في هذا المعنى أن الله تكفل بأن يعلّمه طريقة أدائه وكيفياته ونبينا مبلِّغ يبلِّغ ما جاءه عن ربه وهو عليه الصلاة والسلام نقل هذا الأمر بكل أمانة وبكل إخلاص عليه الصلاة والسلام والله يقول ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ

(1) انظر: القراءات لقابة (ص26).

لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ) ولم يستطع أو ليس في مقدور النبي أن يغيّر شيئاً أو يبدل أمراً أو يأتي بطريقة لم يؤتى بها من قبل الله. قال تعالى: (قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ) فرسم ودل هذا اللقاء المبارك الذي جمع بين نبينا وجبريل عليهما السلام على الطريقة والمنهج والكيفية التي يؤخذ بها القران ألا وهي التلقي والمشافهة والعرض والسماع.

فالنبي أخذ القرآن من جبريل بالكيفية المذكورة وبهذه الأوجه من أوجه القراءات التي نقرأ بها اليوم. وليس هناك مجال للاجتهاد في رد وجه من هذه الأوجه التي نقرأ بها اليوم.

والأمر كذلك بالنسبة للصحابة عندما تلقوا من النبي القران والقراءات أخذوا بطريقة التلقي والمشافهة والعرض والسماع فعبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: أخذت من فيّ رسول الله سبعين سورة وغيره ربما أخذ أكثر من ذلك وربما بعضهم أقل من ذلك فهذا يعني أن مجموع كبير من الصحابة أخذوا القرآن الكريم من النبي.

ففي هذا دلالة على أنه كان صلى اله عليه وسلم يخص بعض الصحابة بمجالس للقراءة والإقراء وتلقي الحروف التي يقرأ بها الناس اليوم وهي ثابته متواترة صحيحة.

لما نزل جبريل عليه السلام بالقرآن الكريم على قلب النبي لم ينزل به مكتوباً في صحف ولا في مصحف لم ينزل بشيء مكتوب البتة وإنما ألقاه إليه قراءة فكان النبي يعاجل الأمر ويحفظ ويضبط خوفاً من التفلت. وهذه النقلة هي التي نقلها النبي إلى الصحابة أسمعهم القرآن إسماعاً تلاه عليهم وعرضوا عليه فحفظوه، وضبطوا نصه وقراءاته. والصحابة نقلوه إلى تلاميذهم إلى التابعين بهذه الكيفية. وكذلك الروايات والقراءات المختلفة لم يقرأ أحد من القراء والرواة بشيء من تلقائي نفسه والقرآن نزل قبل أن يُخلق هؤلاء القراء السبعة أو العشرة ورواتهم بل جاؤوا بعد سنين طويلة بل قرون وإنما نسبت إليهم كما هو معروف عند أهل العلم نسبة ملازمة ومداومة واشتهار بالاشتغال بهذه القراءة وبإقرائها وبتعليمها للناس لا نسبة اختراع وابتداع وابتكار وإلا كانوا متقولين على الله تعالى معتدون فالقراءات والروايات نازلة على النبي وكان يُقرئ الصحابة اقراءً جماعياً بما ينزل عليه من المقطع أو من السور أو من الآيات أو اقراءً إفرادياً ولذا كان بعضهم يتشرف بأنه أخذ من النبي سورة كذا أو آية كذا وكل ذلك بالسماع والمشافهة.

وهذه القراءات والروايات كانت وحياً أنزله الله تعالى على النبي وتلقاها من جبريل عليه السلام ويدل على هذا روايات حديث الأحرف السبعة منها عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ فَرَاجَعْتُهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ وَيَزِيدُنِي حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ»[1].

والخلاف الذي دار بين عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدٍ الْقَارِيِّ، أَنَّهُمَا سَمِعَا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، يَقُولُ: مَرَرْتُ بِهِشَامِ بْنِ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَمَعْتُ قِرَاءَتَهُ، فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَمْ يُقْرِئْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

(1) انظر: جامع معمر بن راشد(219/11).

فَكِدْتُ أَنْ أُسَاوِرَهُ فِي الصَّلَاةِ، فَنَظَرْتُهُ حَتَّى سَلَّمَ، فَلَمَّا سَلَّمَ لَبَبْتُهُ بِرِدَائِهِ، فَقُلْتُ: مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي أَسْمَعُكَ تَقْرَؤُهَا؟ قَالَ: أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: كَذَبْتَ، فَوَاللَّهِ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُوَ أَقْرَأَنِي هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي تَقْرَؤُهَا، قَالَ: فَانْطَلَقْتُ أَقُودُهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تُقْرِئْنِيهَا، وَأَنْتَ أَقْرَأْتَنِي سُورَةَ الْفُرْقَانِ، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرْسِلْهُ يَا عُمَرُ، اقْرَأْ يَا هِشَامُ» ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَكَذَا أُنْزِلَتْ» ثُمَّ قَالَ: «اقْرَأْ يَا عُمَرُ، فَقَرَأْتُ الْقِرَاءَةَ الَّتِي أَقْرَأَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ:» هَكَذَا أُنْزِلَتْ «ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:» إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَءُوا مِنْهُ مَا تَيَسَّرَ "[1].

فقضية التلقي والمشافهة والعرض والسماع هذه سنة سنّها جبريل في مدارسته للقرآن مع النبي فكان يدارسه القرآن وكان يعارضه إياه في رمضان فلما كان العام الذي قبض فيه عليه الصلاة والسلام عارضه مرتين. والمعارضة مفاعلة من اثنين فكان جبريل يقرأ والنبي يسمع ثم يقرأ النبي وجبريل يسمع وهذه المدارسة هي التي سنت سنة الإقراء والعرض والتلقي والسماع والمشافهة فهي الأصل في ذلك.

وهذا يُبطل الشبهة التي يروّجها المستشرقون بقولهم إن اختلاف هذه القراءات جاء بناءً على رسم المصحف وأن عدم وجود النقط في عهد الصحابة هو الذي جعل القُرّاء فيما بعد يقرؤون بروايات مختلفة بناء على النَقْط فقوله صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت هكذا أنزلت يدل على أن النبي لم يجتهد في هذه القراءات كذلك في قوله»: فما زلت أستزيده ويزيدني» هذا دليل على أن هذه الروايات منزّلة من الله فكأنه يطلب التخفيف «فما زلت أستزيده ويزيدني.«واشتهر بعض الصحابة بكونهم ممن تصدى لأخذ القراءة ونقلها والتفرغ لها من الصحابة ثم من التابعين بعد ذلك.

فالصحابة منهم من تصدى للإقراء والأسانيد المنقولة اليوم تمر عن طريق عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وعلي بن أبي طالب وأُبَيّ بن كعب وسالم مولى حذيفة وغيرهم.

وكذلك الحال بالنسبة للتابعين كان هناك أيضاً اختصاص لبعض التابعين في نقل القراءات والتفرغ لها فالقراءات الموجودة حالياً مرت عن طريق التابعين والصحابة انتشروا في الأمصار وفي عهد عثمان حينما كتب المصاحف وأرسلها إلى الأمصار كتب كل مصحف على قراءة معينة وأرسل مع ذلك المصحف إماماً قارئاً يُقرئ أهل ذلك البلد بما كتب في ذلك المصاحف فلا يوجد أحد يقرأ من المصحف كيف ما يشاء، فالصحابة انتشروا في الأمصار واقرؤوا تلاميذهم الذين هم التابعين وبالتالي فالأسانيد الموجودة بعد التابعين والموجودة إلى زماننا الحالي كلها تمر عبر هؤلاء التابعين الذين أخذوا القرآن عن الصحابة وهذا من عناية الله وحفظه لكتابه. فالقراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول.

---

(1) انظر: جامع معمر بن راشد(218/11).

فعن ابن مسعود رضي الله عنه وأرضاه قال: أخذت من فيّ النبي سبعين سورة. فهذا يدل على أنه هناك من الصحابة رضوان الله عليهم من تخصص في الإقراء وفي حبه لسماع النبي وفي البحث عن طريقة أدائه وكيفياته ولهذا أرشد النبي إلى الأخذ عن ابن مسعود فقال: «من أراد أن يقرأ القرآن غضّاً طرياً فليقرأه على قراءة ابن أم عبد» لأنه كان قريباً من النبي وفي الحديث الآخر قال: «خذوا القرآن من أربعة» وذكر منهم ابن مسعود ومعاذ وأُبَيّ وسالم مولى حذيفة.

فقد كان هناك تمييز واختصاص لبعض الصحابة وعرف في عهد الصحابة جماعة تسمى جماعة القراء عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رِعْلًا، وَذَكْوَانَ، وَعُصَيَّةَ، وَبَنِي لَحْيَانَ، اسْتَمَدُّوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَدُوٍّ، فَأَمَدَّهُمْ بِسَبْعِينَ مِنَ الأَنْصَارِ، كُنَّا نُسَمِّيهِمْ القُرَّاءَ فِي زَمَانِهِمْ، كَانُوا يَحْتَطِبُونَ بِالنَّهَارِ، وَيُصَلُّونَ بِاللَّيْلِ، حَتَّى كَانُوا بِبِئْرِ مَعُونَةَ قَتَلُوهُمْ وَغَدَرُوا بِهِمْ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «فَقَنَتَ شَهْرًا يَدْعُو فِي الصُّبْحِ عَلَى أَحْيَاءٍ مِنْ أَحْيَاءِ العَرَبِ، عَلَى رِعْلٍ، وَذَكْوَانَ، وَعُصَيَّةَ، وَبَنِي لَحْيَانَ» قَالَ أَنَسٌ: " فَقَرَأْنَا فِيهِمْ قُرْآنًا، ثُمَّ إِنَّ ذَلِكَ رُفِعَ: بَلِّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا أَنَّا لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَأَرْضَانَا ".[1] هذا دليل على أن هناك جمع كبير من الصحابة ممن أشتغل بالقران والقراءات والروايات في زمن النبي.

تسبيع القراءات

طبعاً قبل هذه المرحلة هناك مرحلة كبيرة وعظيمة في تاريخ القراءات وهي مرحلة الرسم العثماني فما عمله عثمان رضي الله عنه فيه ضبط لمسار الإقراء والقراءات وفيه تحرير وتدقيق وصون للأمة من الاختلاف في الكتاب وحفظاً للقراءات والروايات والكتاب وهذه منقبة لعثمان رضي الله عنه وأرضاه. فلما كُتبت المصاحف وأرسل بها إلى الأمصار ضُبطت القراءات ومسارها على مصاحف عثمان رضي الله عنه وأرضاه أو ما يسمى بالمصحف الإمام وهذا لا يلغي مسار التلقي والمشافهة والعرض والسماع ولذلك عثمان لما أرسل بالمصاحف إلى الأمصار أرسل مع كل مصحف مقرئ يقرئ بما في ذلك المصحف وهذا حفاظاً على منهج الإقراء والتلقي والمشافهة حتى لا تلغيه هذه المصاحف وإنما كانوا يضبطون قراءاتهم على هذه المصاحف لعدم دخول الشاذّ أو غير الصحيح. ثم لما جاءت المئة الثانية والمئة الثالثة يقول ابن الجزري واتسعت الدولة الإسلامية وكثر الخلق وقلّ الضبط أراد الأئمة أن يضبطوا ما رووه وأن يقتصروا على قراءات يسهل حفظها وتنضبط القراءة بها ففكروا في أن يختاروا –وهذا اختيار القراء– أن يختاروا من الأمصار الإسلامية من عرفوا بالأمانة وكمال العلم وحسن الديانة والضبط ثم إن قراءاتهم كانت مسندة ومتواترة.

وهذا الأمر التواتر وثبوت السند اجتهد فيه ابن مجاهد اجتهاداً عظيماً وإن لم يصرّح بهذا في كتابه السبعة إلا أنه أخذ من مواقفه مع معاصريه فمعاصر له يقال له ابن شنبوذ كان يجيز القراءة بما يخالف المصحف وبعد جمع عثمان رضي الله عنه أصبح هناك قاعدة عظيمة إلا وهي: موافقة رسم المصحف. فلا بد أن توافق القراءة خط

(1) انظر: صحيح البخاري (5/ 105)

المصحف وما خالف المصحف بعد عهد الصحابة و التابعين فلا يقرأ به واستمر الناس يقرأون بما نقله التابعين عن الصحابة من القراءات والروايات حتى ظهر اختيار القراء فأول من سبّع السبعة وهذا بإجماع العلماء هو أبو بكر أحمد بن مجاهد التميمي ومعنى تسبيع السبعة جعلهم سبعة قراء في كتاب واحد.

فابن مجاهد نظر إلى القراء في الأمصار الذين اشتهروا شهرة كبيرة والتي تنتشر فيها حركة الإقراء فاختار من كل مصر من الأمصار أشهر إمام مشتهر فيها بالإقراء مشهود له بالدين والورع والأمانة والعدل والضبط والإتقان والتحري والتدقيق وبكثرة الطلاب والإقبال عليه من التلاميذ، فاختار من المدينة نافعاً ومن مكة عبد الله بن كثير ومن البصرة أبا عمرو البصري ومن الشام عبد الله بن عامر الشامي ومن الكوفة تخيّر عاصماً وحمزة والكسائي فاختار سبعة قراء من خمسة أمصار. فاختار ثلاثة قراء من الكوفة لأنها كانت في ذلك الوقت مكان القراء، وحاضرة القراءات أكثر من غيرها من الأمصار.

فهذه المرحلة مهمة من مراحل علم القراءات أو ما يسمى تسبيع السبعة وأصبح شاذاً من خالف القراءة بالسبعة ولا يُقرئ به ولذلك عوقب ابن شنبوذ وضُرب وسُجن حتى تاب وأذعن.

فابن مجاهد قدم عملاً جليلاً بتسبيعه لهؤلاء السبعة لأن قراءاتهم كانت مشهورة في الأمصار فتجردوا للإقراء وعُرفوا به ولازموه واشتهروا به حتى أصبح الناس يسمونها القراءات السبع المشهورة. الإمام نافع أقرأ الناس ما يقارب سبعين سنة حتى عُرف بهذه القراءة وعُرف راوياه بما رووه عنه ثم قراءته كانت مسندة وكذلك أبو عمرو البصري يقول: والله ما قرأت حرفاً إلا بأثر، وكذلك حمزة. وبقية القراء السبعة.

فكتاب السبعة التزمه الناس وصاروا لا يقرؤون إلا بمضمنه ثم تتابع المؤلفون على منهجه فكثرت المؤلفات في القراءات السبع على منوال كتاب ابن مجاهد على اختلاف المؤلفين في طرائقهم في التأليف فجاء مثلاً "الكافي لابن شريح" في القراءات السبع " و"الإقناع لابن الباذش." و"الهادي للقيرواني".

ثم جاء بعد ذلك الإمام القارئ الكبير أبو عمرو الداني المتوفى سنة أربع مائة وأربع وأربعين فألّف عدداً من الكتب في القراءات السبع منها كتاب "جامع البيان في القراءات السبع" وهو كتاب كبير، وله كذلك كتاب "المفردات السبع" و"التيسير في القراءات السبع" وهو كتاب مختصر.

وهذا الكتاب محور القراءات السبع جرى عليه اعتماد الناس في القراءة والإقراء كان الناس يكبّون على هذا الكتاب فيحفظونه وهو كتاب منثور يحفظون ما فيه من القراءات ثم يقرأون بمضمنه علي الشيوخ فكتب الله له القبول والانتشار في الآفاق.

التزام ابن مجاهد للسبعة

قبل كتاب ابن مجاهد لم يكن هناك التزام كلي بقراءة هؤلاء السبعة فقط بل كان هناك قراءة أبي جعفر وقراءة يعقوب وقراءة خلف البزار، وهي قراءات مسنده أخذت مسارها في النقل والرواية لكن لم يكن لها شهرة عالية وكبيرة مثل القراء السبعة ولذلك اقتصر عليهم في كتابه فقدم نافع على شيخه أبي جعفر لشهرة قراءة نافع وأنها من

اختياره فاختار الأشهر المجمع عليه من القراءة، وقدم أبو عمرو على يعقوب لعلوا شأنه ورسوخه في العلم واللغة ولإجماع الناس على قراءته وإمامته، وترك خلف العشر لأن قراءته لم تخرج عن قراءة الكوفيين.

قد يظن البعض أن ابن مجاهد يقصد بتأليفه السبعة واقتصاره عليهم موافقة الأحرف السبعة التي في الحديث أو أن الأحرف السبعة هي ما اختاره ابن مجاهد وهذه شبهة يجب التنبه لها فالأحرف السبعة نزلت على النبي واختيار ابن مجاهد جاء متأخر في القرن الرابع الهجري ثم إن من الأحرف السبعة ما نسخ ولم يعد قرآن، أضف إلى أن القراءات العشر جزء من الأحرف السبعة.

الفرق بين كتاب السبعة لابن مجاهد والتيسير لأبي عمرو

المتصفح للكتابين يجد فروق واضحا بينهما فهما يختلفا في المنهجية تماماً فكتاب ابن مجاهد لا يوجد فيه التقسيم الذي في التيسير المسمى بأصول القراءات وفرش الحروف وهذه خاصية تظهر جلية في كتاب "التيسير".

قصيدة حرز الأماني ووجه التهاني للشاطبي

بعد الإمام أبي عمرو الداني صاحب كتاب "التيسير" جاء إمام عصره ووحيد دهره القاسم بن فِيرُّه الشاطبي المتوفى سنة خمسمائة وتسعين هجرية فوجد الناس وطالبي علم القراءات يلتزمون حفظ كتاب "التيسير" وما يلاقون من المشقة في حفظه لأن حفظ النثر أصعب بخلاف النظم فعمد إلى كتاب "التيسير" ونظمه نظماً فريداً مختصراً وزاد عليه فوائد جميلة وسمى هذا النظم "حرز الأماني ووجه التهاني". والمعروفة بين الناس بالشاطبية نسبة إلى ناظمها.

اعتماد القراء على الشاطبية اليوم

ما قبل الشاطبية كان الاعتماد على حفظ كتاب "التيسير"، والقراءة بمضمنه بطريقة العرض على أهل الفن من القراء المتقنين فالأصل في القراءات التلقي والرواية والعرض والسماع، فلما جاء الشاطبي سهّل على الناس بنظمه لهذه القصيدة، وقصيدة الإمام الشاطبي في القراءات السبع لم تكن هي الوحيدة في عالم الإقراء والمؤلفات والمنظومات في القراءات السبع حتى لا يوجد غير السبع، لكن الله كتب لها القبول والانتشار بين المسلمين وإلا لو استعرضنا تاريخ المنظومات في القراءات السبع لوجدنا عدداً قبله فمن أبرزها قصيدة ابن مالك الدالية المشهورة في القراءات السبع التي شرحها الإمام أبو حيان صاحب "البحر المحيط" فالشاطبية تتسم، بتفوقها بسلاستها في النظم على غيرها من القصائد وفي كثير من النواحي العلمية والبلاغية واللطائف المتعددة في القراءات وفي غير القراءات. قال ابن الجزي عن هذه القصيدة: ومن وقف على قصيدته – يعني الإمام الشاطبي – علم مقدار ما آتاه الله في ذلك خصوصاً اللامية – يقصد حرز الأماني – التي عجز البلغاء من بعده عن معارضتها فإنه لا يعرف مقدارها إلا من نظم على منوالها. وابن الجزري نفسه ممن نظم على منوالها نظم: الدرّة المضيّة في القراءات الثلاث المتممة للقراءات العشر.

كتاب "تحبير التيسير".

ألّف أبو عمرو الداني كتاب "التيسير" في القراءات السبع الذي نظمه الإمام الشاطبي في الحرز ثم جاء ابن الجزري بعد ذلك بحين وألّف "تحبير التيسير" وضمّنه القراءات السبع التي ذكرها الإمام أبو عمرو الداني في التيسير وزاد عليها القراءات الثلاث المتممة للعشر وهي قراءة أبي جعفر وقراءة يعقوب وقراءة خَلَف العاشر فصارت عشرا قراءات فسماها "تحبير التيسير". ثم نظم الدرّة في الزيادة فقط وهي قراءة الأئمة الثلاثة.

كتاب النشر

كتاب القراءات العشر الكبرى لابن الجزري ومنظومته "طيبة النشر" وإنما سميت الكبرى لكثرة طُرقها وتشعبها لأن الإمام الشاطبي رحمة الله عليه تبع الإمام أبو عمرو الداني في التيسير فالتزم طريقاً واحد لكل راوي أما ابن الجزري فقد جمع طرقاً كثيرة في "طيبة النشر" فتتبع الروايات وأصبح عنده كما قال في الطيبة: فهي زهاء ألف طريق تجمع.

منظومات القراءات "الشاطبية" و"الدرة" و"طيبة النشر"

هذه المنظومات قربت علم القراءات وسهلت على الطلاب وضبطت القراءات وإذا حفظ الطالب الشاطبية وحفظ الدرة والطيبة فقد جمع طرق هؤلاء العشرة ولذلك كان طلاب علم القراءات قبل الشاطبية يحفظون الكتب في القراءات السبع ففي الأندلس والمغرب كانوا يحفظون "التيسير" لداني، وفي مصر كانوا يحفظون كتاب "العنوان في القراءات السبع لإسماعيل بن خلف الأنصاري" وفي العراق كانوا يحفظون كتاب الإرشاد "إرشاد المبتدئ لأبي العزّ الواسطي" فلما ظهرت منظومة الشاطبي في القراءات السبع تركوا تلك الكتب وأخذوا بقصيدة الإمام الشاطبي التي كتب الله لها القبول واشتهرت شهرة عظيمة لما سهلت على الناس من جمع القراءات وضبطها ولعذوبتها وسهولتها وجمال نظمها.

منظومة الدرة للإمام ابن الجزري في القراءات الثلاث، قراءة أبو جعفر، ويعقوب الحضرمي، وخلف العاشر المتممة للعشرة.

طيبة النشر في القراءات العشر للإمام ابن الجزري. والمعروفة بالقراءات العشر الكبرى لكثرة طرقها. لماذا قام ابن الجزري بنظم طيبة النشر في القراءات العشر مع أن هناك الشاطبية في القراءات السبع والدرّة المضية في القراءات الثلاث؟ما في الطيبة من الطرق أكثر بكثير من ما في الشاطبية من الطرق وكذلك الدرّة فهؤلاء القراء العشرة لهم طرق عديدة كثيرة جداً ولذلك أبو عمرو الداني في كتابه "جامع البيان" جمع طرق هؤلاء العشرة تجاوزت الخمسمئة طريق بينما في التيسير اختصر الطرق.

فمن دواعي تأليف الإمام ابن الجزري لكتابه "النشر" وطيبته ما ظنّه الناس أو ما توقعوه أن ما وجود في التيسير والشاطبية هو القرآن وهي القراءات فقط فأراد أن يُبين للناس أن الروايات أكثر مما في الشاطبية والتيسير وأنها أوسع من ذلك. ولذلك رجع إلى ما يقارب الأربعين كتاباً من كتب القراءات المسندة التي هي المعروفة بأصول النشر وحقق وحرر هذه الطرق وجمعها وأوصلها إلى ألف طريق ثم نظم في قراءات هذه الطرق منظومته المعروفة بالطيبة، وما خرج عنها من القراءات يعد شاذاً ولا يقرأ به، فهوا رحمه الله خاتمة علم القراءات.

الحكمة والأهمية من تَعَدُّدِ القراءات

1- التسهيل والتخفيف على الأمة ورفع الحرج عنها، وهذه أجلّ حِكَم إنزال القرآن على سبعة أحرف، ولعلها علة ذلك

2- أنها من أكبر الدلائل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في تبليغه القرآن كما أنزل إليه، فهي مع كثرتها لم تتضاد ولم تتناقض.

3- إن في تعددها كمال الإعجاز مع غاية الاختصار وجمال الإيجاز، فكل قراءة بالنسبة إلى الأخرى بمنزلة آية مستقلة، ولا يخفى أن تنوع المعاني تابع لتنوع الألفاظ، ولو كانت كل قراءة تخالف الأخرى آيةً مستقلةً لكان القرآن أطول مما هو عليه

4- في القراءات وتعددها تيسير لحفظه ونقله على هذه الأمة، فإن من يحفظ آيةً واحدةً في كلماتها أوجه متعددة يجد من اليسر والسهولة ما لا يجده لو كان كل وجه في آية مستقلة.

5- كانت القراءات سبباً كبيراً – ولا زالت – لإعظام أجور هذه الأمة (من حيث إنهم يفرغون جهدهم ليبلغوا قصدهم في تتبع معاني ذلك واستنباط الحكم والأحكام من دلالة كل لفظ واستخراج كمين أسراره وخفي إشاراته، وإمعانهم النظر والكشف عن التوجيه والتعليل والترجيح، والتفصيل بقدر ما يبلغ غاية علمهم، ويصل إليه نهاية فهمهم.

6- في تعدد القراءات وتنوعها علامة بارزة على فضل هذه الأمة على سائر الأمم، يتجلى ذلك من خلال عنايتهم الفائقة بهذا الكتاب والتنقيب عنه لفظةً لفظة، وحركة حركة، ونقلهم ذلك مسنداً

7- حفظ القراءات لكثير من لغات العرب ولهجاتهم من الضياع والاندثار؛ لأنها استعملت أفصح ما عندهم، وبذلك خلدت لغتهم وذكرهم، وفي ذلك من المنة عليهم ما لا يخفى.

8- جمعت هذه القراءات الأمة الإسلامية على لسان واحدٍ يوحد بيننا جميعاً

9- تنوع القراءات يفيد أهل العلم أثناء تفسيرهم للقرآن، وذلك في بيان الأحكام، والجمع بين حكمين مختلفين، والدلالة على حكمين شرعيين، ودفع توهم ما ليس مراداً، وبيان لفظ مبهم كلفظ العهن، فقد ورد في قراءة أخرى الصوف.